الدرس الثالث

القبر: عن أنس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال: ((إن العبد إذا وضع في قبره ، وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم)) قال: ((يأتيه ملَكَان فَيُقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟)) قال: ((فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله)) قال: ((فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار ، قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة)) قال نبي الله ﷺ: ((فيراهما جميعًا)). ((وأما الكافر أو المنافق فيقول: لا أدري ، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ثم يُضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه ، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين)) [رواه البخاري ومسلم: ١٣٣٨ ، ٢٨٧٠].

وعودة الروح إلى الجسد في القبر من أمور الآخرة التي لا يدركها العقل البشري في الدنيا ، وقد أجمع المسلمون على أنَّ الإنسان يُنعَّم في قبره إذا كان مؤمنًا مستحقا للنعيم ، أو يعذب إذا كان مستحقًا للعذاب ، إن لم يتجاوز الله عنه ، قال الله تعالى: ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر:٤٦] ، وقال الرسول عليه الصلاة والسلام: ((تعوذوا بالله من عذاب القبر)) [رواه مسلم:٢٨٦٧] ، والعقل السليم لا ينكر ذلك ؛ لأن الإنسانَ يرى في هذه الحياة ما يقرب له ذلك ، فالنائم يحس أنه يعذب عذابًا شديدًا ، ويصرخ ويستغيث ، ومن بجانبه لا يحس بذلك ، مع الفارق الكبير بين الموت والحياة. والعذاب في القبر للروح والبدن معًا، وقد قال الرسول ﷺ: ((إن القبر أول منزل من منازل الآخرة ، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه)) [أخرجه الترمذي:٢٢٣٠] ؛ فينبغي للمسلم أن يكثرَ من التعوذ من عذاب القبر ، خصوصا قبل التسليم من الصلاة ، وأن يحرص على الابتعاد عن المعاصي ، التي هي السبب الأول للعذاب في القبر وفي النار. وقد سُميَّ عذاب القبر ؛ لأن أكثر الناس يقبرون ، وإلا فالغريق والحريق ومن أكلته السباع ونحو ذلك يعذب أو ينعم في البرزخ.

وعذاب القبر يتنوع من ضرب بمطارق من حديد أو غيره ، كما يملأ القبر على صاحبه بالظلمة ، ويفرش له من النار ، ويفتح له باب منها، ويُمثَّلُ له عمله الخبيث على هيئة رجل قبيح الوجه نتن الرائحة ، يجلس معه في قبره. والعذاب يستمر إذا كان العبد كافرًا أو منافقًا، أما إذا كان العبد مؤمنًا عاصيًا فيختلف العذاب بقدر معصيته ، وقد ينقطع العذاب عنه.

أما المؤمن فيُنعَّم في قبره حيث يوسع له قبره ، ويملأ نورًا ، ويفتح له باب إلى الجنة يأتيه من ريحها وطيبها ، ويفرش له منها، ويمثل له عمله الصالح في صورة رجل جميل يؤنسه في قبره.